



مقدمة:

والإيتار على النفس مع الحاجة قمة عليا، وقد بلغ إليها الأنصار بما لم تشهد البشرية له نظيرأً.. في صورة وضيئه صادقة تبرز أهم الملامح المميزة للأنصار، هذه المجموعة التي تفردت بصفات، وبلغت إلى آفاق، لو لا أنها وقعت بالفعل لحسبها الناس أحلاماً طائرة ورؤى مجنة، ومُثلاً عليا صاغها خيال محلق .. بهذا الحب الكريم، وبهذا البذل السخي، وبهذه المشاركة الرضية، وبهذا التسابق إلى الإيواء واحتمال الأعباء.. (وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا) مما يلقي ظلال النظافة الكاملة لصدورهم، والبراءة المطلقة لقلوبهم.

عناصر الخطبة:

-1 الإيتار والمواساة.

-2 خدمة المجاهدين وعامة المسلمين .

-3 عدم استئثار الجندي بسلاحه لنفسه.

1- الإيتار والمواساة في الجهاد:

في صورة وضيئه صادقة تبرز أهم الملامح المميزة للأنصار، هذه المجموعة التي تفردت بصفات، وبلغت إلى آفاق، لو لا أنها وقعت بالفعل لحسبها الناس أحلاماً طائرة ورؤى مجنة، ومُثلاً عليا صاغها خيال محلق .. ولم يعرف تاريخ البشرية كله

حادثاً جماعياً كحادث استقبال الأنصار لمهاجرين، بهذا الحب الكريم، وبهذا البذل السخي، وبهذه المشاركة الرضية، وبهذا التسابق إلى الإيواء واحتمال الأعباء (وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مَّا أُوتُوا) مما يلقي ظلال النظافة الكاملة لصدورهم، والبراءة المطلقة لقلوبهم

قال الله تعالى واصفاً ذلك المشهد: (والذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صورهم حاجةٌ مما أتوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الحشر: 9) والإيثار على النفس مع الحاجة قمة علياً، وقد بلغ إليها الأنصار بما لم تشهد البشرية له نظيراً (من كتاب: في ظلال القرآن بتصرف)

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له)، قال: (فذكر من أصناف المال ما ذكر، حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل) (روايه مسلم)

- وعن أبي موسى رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الأشعريين إذا أرملا في الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إماء واحد بالسوية، فهم متى وأنا منهم) (متفق عليه).

أرملا: أي فني طعامهم.

2- خدمة المجاهدين وعامة المسلمين:

من نعم الله تعالى على العبد

- أن يسخره لقضاء حوائج الناس، فعن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ لِلَّهِ أَقْوَاماً اخْتَصَهُمْ بِالنَّعْمَ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، وَيُقِرُّهَا فِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا عَنْهُمْ وَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ) (أخرجه الطبراني ، وابن عساكر، قال الألباني: (حسن لغيره) صحيح الترغيب والترهيب)

- وأن يجعله مفتاحاً للخير والإحسان، فعن سهل بن سعد، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (عِنْدَ اللَّهِ خَزَائِنُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، مَفَاتِيحُهَا الرِّجَالُ، فَطُوبِي لِمَنْ جَعَلَهُ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ، وَمَغْلَاقًا لِلشَّرِّ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَهُ مِفْتَاحًا لِلشَّرِّ، وَمَغْلَاقًا لِلْخَيْرِ) (أخرجه ابن ماجه، والطبراني، قال الألباني: حسن: صحيح الجامع)

ولقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل والنماذج الأعلى في الحرص على الخير والبر والإحسان، وفي سعيه لقضاء حوائج الناس وبخاصة للضعفاء والأيتام والأرامل، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه: (أَنَّ امْرَأَةً كَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ: يَا أُمَّةً فُلَانٍ، انْظُرِي أَيِّ السِّكَكِ شِئْتِ، حَتَّى أَفْضِيَ لَكِ حَاجَتِكِ، فَخَلَأَ مَعْهَا فِي بَعْضِ الْطُّرُقِ، حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا). (آخرجه مسلم)

- وعن عمر بن العاص بن أبي النجود أنّ: (عمر بن الخطاب كان إذا بعث عماله شرط عليهم ألا تركوا يرذونا ولا تأكلوا نقباً ولا تلبسوا رقيقاً ولا تغلقوا أبوابكم دون حاجات الناسطن فإن فعلمتم شيئاً من ذلك فقد حللت بكم العقوبة، قال: ثم شيعهم فإذا أراد أن يرجع قال: إنني لم أسلطكم على دماء المسلمين، ولا على أعراضهم، ولا على أموالهم، ولكنني بعثتكم لتقيموا بهم الصلاة، وتقسموا فيهم، وتحكموا بينهم بالعدل، فإن أشكل عليكم شيء فارفعوه إلي، ألا فلا تضرموا العرب فتذلّوها، ولا تجمروها فتقتنوها، ولا تعتلوا عليها فتحرموها). (المصنف لعبد الرزاق الصناعي)

- ولقد كان عمر -رضي الله عنه-. (يتعاهد الأرامل يستقي لهن الماء بالليل، ورآه طلحة بالليل يدخل بيت امرأة، فدخل إليها طلحة نهاراً، فإذا هي عجوز عماء مقعدة، فسألها: ما يصنع هذا الرجل عندك؟ قالت: هذا مذكداً وكذا يتعاهدنا يأتي بـ

يصلحني ويُخرج عنِّي الأذى، فقال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة، أعرارات عمر تتبع؟
وكان أبو وائل يطوف على نساء الحي وعجائزهن كل يوم فيشتري لهن حوائجهن وما يصلحهن.
– قال الشاعر:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم *** فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ
وكنْ على الدهرِ معاوناً لذي أملٍ *** يرجو نداكَ فإنَّ الْحُرَّ مُعْوَانُ
واشدُّ يديك بحبِّ اللهِ معتصماً *** فأنَّه الرَّكْنُ إِنْ خانتك أركانُ
من كان للخير مناعاً فليس له *** على الحقيقة إخوانٌ وأخْدَانُ
من جاد بالمال مالَ النَّاسُ قاطبةً *** إِلَيْهِ وَالْمَالُ لِإِنْسَانٍ فَتَانُ

– قال ابن القيم – رحمه الله – في وصف شيخ الإسلام ابن تيمية: كان شيخ الإسلام يسعى سعيًا شديداً لقضاء حوائج الناس.

كان ناس من أهل المدينة يعيشون ولا يدركون من أين معاشهم فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك الذي كان يأتيهم بالليل
قال الحطيئة:

من يفعل الخير لا يعدم جوازِيه *** لا يذهبُ العرفُ بين الله والناسِ

– عن أنس رضي الله عنه قال: (كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم، أكثرنا ظلاً الذي يستظل بكسائه، فأما الذين صاموا فلم
يعملوا شيئاً، وأما الذين أنفطروا فبعثوا الرِّكَابَ وامتَهَنُوا وعالَجُوا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ذهب المفطرون اليوم
بالأجر) (رواه البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري). فبعثوا الركاب: أي أثاروا الإبل لخدمتها وسقيها وعلفها.

– وعن جابر رضي الله عنه، قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختلف في المسير، فيزجي الضعيف ويردف،
ويدعو لهم) (رواه أبو داود) يزجي: أي يسوقه ليلاً بالرفاق. ويردف: أي يجعله خلفه، أو خلف راكب آخر.

– عن أمِّ عطِيَّةَ قالت: (غَرَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعَ غَزَوَاتٍ أَدَوِيَ الْمَرْضَى، وَأَقْوَمُ عَلَى جِرَاحَاتِهِمْ
وَأَخْلُقُهُمْ فِي رِحَالِهِمْ أَصْنَعُ لَهُمُ الطَّعَامَ) (رواه أحمد / وإنسانه صحيح على شرط الشيدين).

– وقد بوب البخاري باباً في: فضل الخدمة في الغزو، فقال: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (صحبت جرير بن عبد
الله فكان يخدمني وهو أكبر من أنس – أي أكبر مني – قال جرير إني رأيت الأنصار يصنعون شيئاً لا أجد أحداً منهم إلا
أكرمه) (البخاري) يصنعون شيئاً: أي من خدمة النبي وتعظيمه.

– عن جابر، قال: (كُنْتُ أَمْيَحُ أَصْحَابِي الْمَاءَ يَوْمَ بَدْرٍ) (أبو داود / وصححه الألباني) قال الخطابي: "المایح" هو الذي ينزل
إلى أسفل البئر، فيملأ الدلو.

3- عدم استئثار الجندي بسلامه لنفسه:

وقدوتك في ذلك أيها المجاهد هو حبيبك وقائدك محمد صلى الله عليه وسلم فقد كان يضع سهامه كلها بين يدي سعد بن أبي
وقاص رضي الله عنه ويقول له: (ارم سعد فداك أبي وأمي).

يقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (تَثَلَّ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَنَانَتِهِ يَوْمَ أَحَدٍ فَقَالَ: ارم سعد فداك أبي
وأمي) (فتح الباري)

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر من يمر به من الصحابة أن ينشر ذخيرته لأبي طلحة لأن أبو طلحة كان راماً ماهراً
كسر يوم أحد قوسين أو ثلاثة.

فعن أنس رضي الله عنه قال: (لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبو طلحة بين يدي النبي

مَجُوبٌ عَلَيْهِ بَحْجَفَةٍ لَهُ، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا شَدِيدًا النَّزْعَ كَسْرٌ يَوْمَئِذٍ قَوْسِينَ أَوْ ثَلَاثَةَ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَمْرُّ مَعَهُ بِجَعْبَةٍ مِنَ النَّيلِ فَيَقُولُ: (اَنْتُرْهَا لَأَبِي طَلْحَةَ) (رواه البخاري ومسلم)

مَجُوبٌ مُتَرَّسٌ، حَجَفَةٌ: الترس، شدید النزع: شدید الرمي حَسَنَه، بِجَعْبَةٍ: الآلة التي يضع فيها السهام. ومن المعلوم أن المقاتلين ليسوا على درجة واحدة في القتال، فمنهم الماهر في القنص والمتقن في إصابة الهدف، ومنهم المتخصص بضرب الآر بيجه أو إطلاق الصواريخ أو المدفعية ، إلى غير تلك الاختصاصات، ومنهم المتوسط في ذلك، ومنهم الضعيف.

وعلى هذا فينبغي للمقاتل أن لا يستأثر بسلاحه وذخيرته لنفسه، فإذا علم أن هناك من هو أمهر منه في نوع من أنواع السلاح وهذا النوع معه هو، فعليه أن يعطيه لذلك الماهر ولا يستأثر به لنفسه، وخاصة إذا اشتدت المحنـة في القتال وكاد العدو أن يغلب.

كما أنه لو نفذت ذخيرة بعض المقاتلين فعلى إخوانهم من يملكون السلاح والذخيرة أن يعطوهم منه ولا يمنعوهم. مثل ذلك فيما لو كانت قرية عندها ما يكفيها من السلاح وقرية أخرى ليس عندها ما يكفيها لدفع غائلة العدو فلا يجوز لتلك القرية أن تستأثر بما معها من سلاح وتحبسه عن المقاتلين في القرية الأخرى، خاصة إذا علم أن هذا السلاح هو من مال المسلمين جميعاً فلا يجوز الاستئثار به للنفس.

واسمع أخي المجاهد إلى هذا الحديث العظيم الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن فتى من أسلم - قبيلة أسلم - قال: يا رسول الله إني أريد الغزو وليس عندي ما أتجهز، قال: (إِنَّمَا فَلَانَا فِيمَا كَانَ قَدْ تَجَهَّزَ فَمَرِضَ) فأتأه فقال: إن رسول الله يقرئك السلام ويقول أعطني الذي تجهزت به، قال: يا فلانة، أعطيه الذي تجهزت به ولا تحبسه عنه شيئاً، فو الله لا تحبسه شيئاً فَيُبَارِكُكَ فِيهِ (مسلم)

المصادر: